وقد وردت ألفاظ كثيرة من غير لغات العرب في القرآن الكريم خرجها العرب من قبيل هذه الطرق، وفي هذا يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : عد العلماء في القرآن من غير لغات العرب أكثر من مائة لفظة ترجع إلى لغات : الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر والسريان والعبران والقبط، وهي كلمات أخرجتها العرب على أوزان لغتها وأخرجتها في فصيحها فصارت بذلك عربية ... إلخ.

فكل ما سبق يبين لنا بطلان هذا الاتهام الذي اتهمت به اللغة العربية ويبين لنا تطورها ونموها وكثرة مفرداتها وقدرتها على مسايرة أي جديد مستحدث بكل الوسائل والطرق، وعلى هذا نستخلص مما سبق ما يأتي :

١. بطلان هذا الاتهام الذي اتهمت به اللغة العربية.
٢. إعجاب العرب وافتخارهم بلغتهم.
٣. إعجاب غير العرب وافتخارهم بها أيضا.
٤. تطور هذه اللغة ومسايرتها للأحداث، شأنها في ذلك شأن أي شيء يتطور ويتغير.
٥. نمو هذه اللغة وكثرة مفرداتها، وتميزها عن غيرها من اللغات.
٦. استخدام العرب لكل الوسائل والطرق التي تساعد على هذا النمو والمسايرة للأحداث كالاشتقاق والمجاز والكناية والتعريب.
٧. شهادة الأقدمين والمحدثين بكل ما سبق، وهذا مما يدل على مكانة هذه اللغة وحفظ الله لها مهما تكلم عنها المعرضون وقللوا من شأنها، لأنها لغة القرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنه تنزيل من حكيم حميد كما ذكر لنا القرآن الكريم ذلك.

هذا وبالله التوفيق والهداية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

العقل. فقيل لأبي هشام: كيف تتحمل سخف الرجل؟ فقال: احتمال سخفه ولا الجهل بالعربية. ثم يقول الأستاذ عارف الكدي: "ولقد شارك العرب في هذا الإعجاب كثير من غير أبنائها من المستشرقين الذين عرفوا أسرارها وتبينوا حقائقها ودقائقها بعد أن اطلعوا على ذخائرها وكنوزها". ومنهم من أعجب بها عن سماع لا عن اطلاع، ولقد وقع في يدي كتاب بالفرنسية كان يعث به إلى الأمير شكيب أرسلان - رحمه الله - عالم ألماني هو الدكتور (ويلمر) أحب العربية واستهوته عن معرفة عنها لا عن معرفة بها فكتب إلى الأمير وعن غير معرفة شخصية به يقول له ما ترجمته بالحرف: "أشكر لك فضلك على هذه المعلومات التي أفدتنيها، وإني لأعرف أنه من الصعب أن أجد في سويسرا عربيا يساعدني على القراءة، وعلى تتبع النصوص العربية القديمة والحديثة، وهذا كتابك الثاني يؤكد ما ذهبت إليه، على أن هذا وأكثر منه لا يثنيني عن غرضي وعما أجمعت أمري على المضي فيه، إن تحمسي لهذه اللغة الرائعة وتعلقي بها ملكا على مشاعري وجعلاني أسعى السعي كله لأجد عربيا: مصريا أو سوريا متضلعا من العربية متحمسا لها تحمسي: عنده ما عندي من الرغبة في هذه اللغة وفي نشرها، أصل معه إلى ما أريده من التعمق في العربية والتمكن في آدابها. وإني أرى رأيك أنه يصعب على غريب عن لغة أن يتعمق فيها إذا لم يكن على كبير علم بها. وأكرر القول: أنني أكون شاكرا إذا أنت هديتني إلى عربي لم أهتد إليه يوصلني إلى ما أبغي الحصول عليه ... إلخ".

فهذا الإعجاب إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة هذه اللغة وأنها صالحة لكل زمن غنية بمشتقاتها واستعاراتها بحيث تتسع لكل مستحدث وجديد. وهذا مما جعل العلماء يعجبون بها، بسبب نموها ومرونتها واتساعها لكل مستحدث وجديد، لا أن ينكروا تطورها أصلا كما يقول هؤلاء المتهمون ولذلك يقول الأستاذ شفيق جبري في نفس المحنة: انتقلت اللغة العربية على ترادف السنين من شكل إلى شكل، ولا يزال هذا الانتقال يستمر في عصرنا.

وإذا كنا نعجب من الوقوف على مظاهر تطورها فقد يكون عجبنا أشد من دلالة هذه المظاهر على نمو اللغة وعلى استعدادها للحياة مهما يباغتها من الأمور، لقد جاءت براهين قاطعة على أنها أهل للحياة، فلم تمنعها الموانع من تتبع مجرى هذه الحياة في كل عصر من عصورها حتى في عصرنا هذا الذي نعيش فيه، وهذا موطن من مواطن

افتخارنا بلغة العرب ... إلخ. ومع تطورها ومسايرتها لكل جديد لم تتغير أصولها، ولذلك يقول الدكتور إبراهيم محمد نجا في كتابه: فقه اللغة تحت عنوان: دوران المادة حول معنى واحد: إن الباحث في اللغة يجد المعاجم اللغوية تذكر المادة اللغوية، وما تدل عليه من معان، ولكنها لا تبرز ما بين تلك المعاني من أواصر وصلات، فإذا عني الدارس بهذه الناحية، وأمعن البحث في هذه الصلات تكشف له وجود معنى عام يشمل هذه المعاني ويعد مركزا لها تتفرع عنه وتدور حوله. وهذه ميزة للغة العرب لا توجد في غيرها من اللغات، لأن الألفاظ في اللغات الأخرى يعتريها من التبدل والتغير ما يزيل هذا الأصل ويستر أصوله ومعالمه. ثم يقول بعد ذلك: وهو - أي: دوران المادة حول معنى واحد - من المباحث الجليلة في فقه اللغة، لأنه يسهل على الناظر في المواد وقد فطن له أبناء العربية منذ أقدم عصورهم. والأب انستاس الكرملي، وهو من أفذاذ العربية يحدثنا عن ذلك في كتابه: نشأة اللغة فيقول: وقد انتبه لغويو العرب قبل لغويي الغرب إلى هذه الفكرة البديعة. ويوضح لنا صدق هذه النظرية عرض المواد وبيان ما بينها من صلات وروابط، فإذا عرضت لمادة (ح د ق) وما تفرع عنها من ألفاظ مثل: حدقة العين وحديقة وأحدق، وعرضت معانيها على ذهنك وجدت أنها تدور حول معنى عام يعد كالمركز لها وهو الإحاطة. إلا أن بعض المواد قد يصعب إيجاد الصلات بين معانيها ... إلخ. ثم بين بعد ذلك بعض الطرق والوسائل التي تدل على مسايرة اللغة لكل عصر وتطورها معه فقال: إن التطور في شئون الحياة يجعل مهمة أي لغة بألفاظها التي وردت في مستهل حياتها غير وافية بحاجة المجتمع على الصورة الجديدة لاستحداث المخترعات وتطور الصناعات، وهذه تتطلب منا أن نميزها عن غيرها بأسماء تخصها، وهذا الاسم قد يؤخذ من نفس اللغة بطريقة الاشتقاق، وإما بنقله من معناه الحقيقي إلى ذلك المعنى الجديد لمناسبة بينهما، وهو المعروف بالنقل وطريقه: المجاز بأقسامه، والكناية وأقسامها، كما في علم البلاغة.

وإن لم تسعفنا اللغة نقلنا الألفاظ الواردة من اللغات الأخرى قاصدين الدلالة على هذا المخترع، مع إخضاع هذا اللفظ للقوانين اللغوية التي تتطلبها لغتنا، أو إبقائه على صورته إن صعب علينا ذلك وهذا اللون من النقل هو المعروف عند علماء العربية بالتعريب، وهذا كله يعبر عنه عند علماء اللغة بالاقتراض اللغوي ... إلخ.

تطور اللغة العربية ومسايرتها لكل عصر

د. أحمد نجيب عبد الوهاب*

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد. فهذه السطور التي أكتبها بعون الله وتوفيقه ما هي إلا رد على هذا الاتهام الذي اتهمت به اللغة العربية من أنها لغة عقيمة جامدة لا تساير العصر وتطورات الأحداث، فأقول وبالله التوفيق : هناك قاعدة عامة قالها دوزي صاحب المعجم المشهور تقول : كل شيء في هذا العالم عرضة للتغيير، ولا سيما اللغات التي تتغير بتغير الأفكار. وهذه القاعدة واقعية مشاهدة لا ينكرها إلا معاند مكابر، واتهام اللغة العربية بهذا الاتهام من قبيل هذه المعاندة والمكابرة، ولا يشم من ورائه إلا الكره والعداوة للغة العربية وأهلها، إذ لا يجوز لمن عنده أدنى تفكير في واقعية هذه القاعدة أن يتفوه بهذا الاتهام. والمتتبع لأحوال اللغة العربية وانتقالها من حال إلى حال في كل عصر من عصورها في الجاهلية والإسلام إلى عصرنا هذا يدرك صدق هذه القاعدة في تطور اللغة العربية ومسايرتها للأحداث في كل عصر من العصور. وهذا ما جعل أهلها وغير أهلها من المستشرقين يعجبون بها.

يقول الأستاذ عارف النكدي في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : كل قوم معجبون بلغتهم، والعرب الصراح في مقدمة الأقوام إعجابا بلغتهم وتراثها، وهو إعجاب عبر عنه قديما أبو الخطاب بن دحية في كلمته الجامعة الرائعة التي يقول فيها : "اعلم أن الله تعالى لما وضع رسوله صلى الله عليه وسلم موضع البلاغة من وحيه ونصبه منصب البيان لدينه اختار له من اللغات أعرفها ومن الألسن أفصحها وأبينها، ثم أمده بجوامع الكلم". ومن تعلق العرب بلغتهم وإعجابهم بها روى : أن أبا هشام عبد السلام الجبائي كان يأخذ علم النحو عن المبرد، قيل : وكان في المبرد سحف - أي : رقة في

---

* مدرس اللغويات في جامعة الأزهر بالقاهرة، والآن مبعوث من قبل هيئة الإغاثة العالمية للتدريس بجامعة شريعة هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا